بذاتها بنية، وهذا رغماً عن كونه بحث كثيراً في الصيغ التي يمكن بها للسانيات أن تغني هذا العلم الجديد[34].

هذا باختصار عن «الغراماطولـوجيا»، أمـا الآن فلنطرق مجـالاً آخر في دراسـة الأدلة الخطية، وهو مجال يعرف باسم مغاير هو علم الخط أو «الغرافولوجيا».

4.1.2 ـ «الغرافولوجيا» (Graphologie) أو علم الخط (المنحى التأويلي):

إذا كانت الغراماطولوجيا المقترحة من قبل «جلب» و«ديريدا» علماً جديداً وُجِدَ لسد النقص الذي يعتري البحث اللساني المعاصر فإن «الغرافولوجيا» تعتبر مبحثاً قديماً نسبياً، بحيث يمكن بسط تاريخيته عبر المراحل التالية:

أ ـ يمكن تلمس أول محاولة فيه مع بداية القرن 19 مع «لافـاطير» (Lavater) الـذي حاول، بذكاء، أن ينظر إلى الخط من منظور يماثله بمورفولوجيا الوجه، أي في كونه يعكس السلوكات والطبائع، ورغم أن استثماره السيكولوجي لم يكن بدرجة من العمق، فقد تمثله روائيـون كبلزاك من أجل بنـاء تمـاثـلات بين هيئـات الشخصيـات الـروائيـة، وطبـائعهـا، وخطوطها[35].

ب ـ سنة 1875 ظهر أول عمل جاد في الموضوع «للقس ميشون» (L'Abbe Michon) بعنوان «نظام الغرافولوجيا»، وقد انطلق فيه صاحبه من مبدأ أننا يجب أن نعرف الآخرين، وبما أنه من المستحيل تحقيق ذلك بسبب الأقنعة التي تختفي وراءها سلوكات النـاس وطبائعهم الحقيقية، فلقد قال بوجود علاقة حميمة بين كـل العلامـات المحايثـة للشخصية الإنسـانية و«الروح» التي هي نفسها مادة هذه الشخصية، فكما أننا لا نفكر في ميكانيزمات الكلام عندما ننطق، فالشكل الذي نمنحه للحروف عندما نكتب، يعتبر بدوره حصيلة لا واعية. فالذهن هو الذي يكتب ويتكلم مباشـرة، وبرهـانه على ذلـك وجود عـدد من الخطوط بقـدر ما يـوجد من الأشخـاص، خصـوصـاً بعـد أن يلج هؤلاء مجـال الكتـابـة الشخصيـة بتجـاوزهم مـرحلة المراهقة[36].

ورغم أن المنطلق الذي يحكم قناعته، منطلق ميتافيزيقي، وسيكولوجي ساذج، فإن أهم ما يشد الانتباه في طرحه هو الجانب المتعلق بإمكانية تأويل الكتابة.

يرى في هذا الشأن وجوب تفكيك الكتابة بحسب صيغها، أي أشكالها، عن طريق رصد

---

(34) ديريدا، المرجع نفسه، ص ص 108 - 109.

(35) ينظر: A. Tajan et G. Deloge. Écriture et structure Payot, 1981.

(36) المرجع نفسه، ص 37.